الشريف الرضيّ

حياته وآثاره

حسن العيساوي*

شخصيات

بعد أن توفي أبو الطيب المتنبي في سنة ٣٥٤هـ، وكان في حياته مالئ الدنيا وشاغل الناس، ظلت أخباره الكثيرة، وأشعاره الوفيرة شغلاً شاغلاً لكثير من العلماء والنقاد والكتّاب يستقصون هذه الأخبار في تصنيفها وشرحها، وتفسيرها، ويتجادلون في ذلك ويتمارون مراء شديداً، وكأنّ أبا الطيب كان على علم بما سيكون من بعده حين قال:

أنامُ ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم[1]

وفي هذه الفترة وبعد وفاة أبي الطيب بخمس سنوات، استقبلت الدنيا علماً من أعلام الأدب والشعر، ليسد الفراغ الذي تركه المتنبي، وليقدم لأبناء عصره تلك القصائد الرائعة ذات الذوق الفني الرفيع والمستوى العالي من الأداء. وليقدم تراثاً أدبياً وعلمياً ضخماً تنهل منه الأجيال على مرور الدهر. فكان نعم العالم والأديب والشاعر.

نحاول من خلال هذا البحث أن نتعرف حياته وآثاره العلمية والأدبية.

نسبه الشريف

يرجع نسب الشريف الرضيّ إلى السادة النجباء والأئمة الأطهار من آل بيت النبيّ «صلوات الله عليهم أجمعين»، من جهة الأب والأم معاً؛ ولذلك سمّي ذا الحسبين لنسبه الشريف.

فهو أبو الحسن محمد بن أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه فاطمة بنت الناصر الصغير أبي محمد الحسن بن أحمد بن أبي الحسين صاحب جيش أبيه الناصر الكبير أبي محمد الحسين بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

---

* من طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة.

والده

أبو أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام الموسوي البغدادي[٣].

ولد في سنة ٣٠٤ هـ. توافرت فيه الصفات والخصال الحميد الحسنة، كان نقيب السادات العلوية ببغداد، تقلد نقابة الطالبيين ومات سنة ٤٠٠ هـ. وهو متقلدها[٤].

عاصر عدداً كبيراً من حكام بني العباس، من المقتدر بالله جعفر بن أحمد، الذي امتدت أيام حكمه من (٢٦٩ ـ ٣٢٠ هـ.)، إلى نهاية القادر بالله العباسي (٣٨١ ـ ٤٣٢).

وعاصر من أمراء دولة البويهيين من معز الدولة أحمد بن بويه (٣٣٤ هـ.) إلى عهد بهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩ ـ ٤٠٣ هـ.).

كان أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة. قال عنه ابن عنبة: بأنه أجلّ من وضع على رأسه الطيلسان، وكان قويّ المنة، شديد العصبية يتلاعب بالدولة، ويتجرأ على الأمور، وفيه مواساة لأهله[٥].

وكانت له المكانة المرموقة في دولة بني العباس ودولة بني بويه، ولقّب بالطاهر ذي المناقب، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحد، وكان السفير بين الخلفاء والملوك من بني بويه والأمراء من بني حمدان وغيرهم[٦].

▣ يرجع نسب الشريف الرضيّ إلى السادة النجباء والأئمة الأطهار من آل بيت النبيّ «صلوات الله عليهم أجمعين»، من جهة الأب والأم؛ ولذلك سمّي ذا الحسبين لنسبه الشريف.

▣ بعد وفاة أبي الطيب استقبلت الدنيا علماً من أعلام الأدب والشعر، ليسدّ الفراغ الذي تركه المتنبي، وليقدم لأبناء عصره تلك القصائد الرائعة ذات الذوق الفني الرفيع والمستوى العالي من الأداء.

ولكن هذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة لم تمنع عضد الدولة من أن يغضب عليه ويحمل عليه موجدة تؤدي إلى إبعاده عن بغداد، واعتقاله في قلعةٍ بفارس ومصادرة أملاكه، وذلك عام (٣٦٩ هـ.). وبقي معتقلاً سبع سنين مع أن عضد الدولة توفّي عام (٣٧٢ هـ.)، لكنه بقي قيد الإقامة في شيراز حتى عام (٣٧٦ هـ.) حيث أطلقه شرف الدولة، أبو الفوارس شيرذيل، ابن عضد الدولة.

ولم يصرح المؤرخون بسبب اعتقاله، ولعله كان لميله لبعض أقارب عضد الدولة ممن كان يناوئه، كعزّ الدولة بختيار أو غيره. ولكن عضد الدولة أرسله بعد ذلك في سفارة بينه وبين بني حمدان، ثم قبض عليه وعلى أخيه أبي عبدالله بعد ذلك بعام واحد واعتقلهما بفارس. ولما سئل عضد الدولة العفو، عن أبي إسحاق الصابي، قال لمن سأله ذلك: أما العفو فقد شفعنا فيه وعفونا له عن ذنب لم نعف عما دونه لأهلينا يعني الديلم، ولا لأولاد نبيّنا يعني أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي وأخاه، ولكن ذهبت إساءته لخدمته.

ومن هنا يُفهم أن عضد الدولة كان ينقم علي أبي أحمد أشياء سياسية كبيرة في نظره[٧].

ولما توفي عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ. بعث الرضيّ بأبيات إلى أبيه، وعمرهُ إذ ذاك فوق الثلاث عشر سنة بقليل؛ جاء فيها:

أبلغا عني الحسين الوكا
إن ذا الطود بعد عهدك ساخا
والفنيقُ الذي تدرع طول الأر
ض أضوى به الروى فأناخا
والعقاب الشعواء أهبطها الذ
ق وقد أدعت النجوم سماخا
أعجلتها المنون عنا ولكن
خلفت في ديارنا أفراخا
وعلى ذلك الزمان بهم عا
د غلاماً من بعد ما كان شاخا

وهذه الأبيات تنم عن أن الرضيّ رحمه الله لم يكن واثقاً بخلاص أبيه بعد عضد الدولة، وأن أبناءه يسيرون على سنة أبيهم في معاملة من كان يعاديهم أو يصادقهم، فلم يستطع الرضيّ أن يقول عند موت عضد الدولة أكثر من هذا ولا يصرح بشيء مما تكنّه نفسه، سوى أن تلك العقاب تركت أفراخاً يخاف منهم ما كان يخاف منها.

وبقي أبوهُ معتقلاً إلى سنة (٣٢٦ هـ.) فأفرج عنه شرف الدولة ابن عضد الدولة بعد انتصاره على أخيه صمصام الدولة[٨].

توفي والد الشريف الرضيّ سنة (٤٠٠ هـ.) ودُفن في داره، ثم نُقل جثمانه الشريف إلى كربلاء، ودُفن في الحائر الحسيني قرب الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وقد رثاهُ الشريف بقصيته الفائية:

هـذا أبـي الأدنـى الذي تـعرفونه
مـــقدم مـــجد أولٍ ومـــخلف
مـؤلف مـا بـين المـلوك إذا هـفوا
وأشفوا على حزّ الرقاب وأشـرفوا
إذا قال رُدّوا غارب الحلم راجعوا
وإن قال مهلاً بعض ذا الجد وقـفوا
وبالأمس لما صال قـادر مـلكهم
وأعرض فـيه الجـانب المـتخوف
تلافاهُ حتى سـامح الضـغن قـلبه
وأســمح لمــا قــيل لا يــتألف
وكــان ولي العــقد والعـهد بـينه
وبين بها الملك يسعى ويـلطف[٩]

أمه

فاطمة بنت الناصر الكبير (شيخ الطالبيين، وعالمهم وزاهدهم، وأديبهم) ملك بلاد الديلم والجبل، الملقب بالناصر للحق.

وكانت السيدة العلوية فـاطمة رحـمة الله عليها عالمة فاضلة نـاسكة زكـية طـاهرة بـصيرة بالكلام، ولدت ونشأت في بيت عُـرف لدى الجميع بالعلم والأدب والسياسة والحـنكة، والفضل والتقوى؛ والشيخ المفيد قدس سره ألّف كتاباً باسمها في أحكام النساء، مرتّب عـلى أبواب؛ أوله:

«الحمد لله الذي هدى العـباد إلى مـعرفته ويسّر لهم سبيل ...»، والكتاب تـوجد مـنه نسخة خطية متداولة بين الفقهاء والعلماء في الحوزات العلمية، وتـوفيت رحـمة الله عليها سـنة (٣٨٥هـ.) ورثاها الشريف الرضيّ في قصيدة من ثمانية وستين بيتاً مطلها:

أبكــيكِ لو نـفع الغـليل بكـائي
وأقول لو ذهب المقال بدائي[١٠]

ولادته، نشأته، وفاته

اتـفق المـؤرخـون عـلى ولادة الشـريف الرضيّ في سنة ٣٥٩هـ. أي بعد ولادة أخـيه علم الهدى السيد المرتضى بأربعة أعوام، لأن ولادة المرتضى اتفقت في سنة (٣٥٥هـ.).

نشأ وترعرع في بيت الزعـامة والرئـاسة والفضيلة والمعرفة والعلم والأدب، وشبّ في أحـضان أسـرة عـريقة بـالفتوة، والحـيوية، وبالمجد والعظمة والسؤدد، عُرفت لدى كل الطبقات بالنزاهة والولاية والإخـلاص، إلى جانب المـثابرة والجـهاد والإبـاء والشـيم؛ تكتنفه وتظلّه عناية وتربية والدته الطـاهرة، التقية النقية، والممتازة في كل الجوانب، بعد سجن والده الذي استمر سـبع سـنوات[١١]. فكانت والدته الجليلة هي التي ترعاه وأخاه، وتبذل كل ما تملك في سبيل رعايتهما بعد أن صادر عضد الدولة أموال زوجها أبي أحـمد الموسوي.

حـفظ الشـريف الرضـيّ قـدس سره القـرآن الكريم في سنّ مبكرة، وقرأه على إبراهيم بن

■ نشأ الشريف الرضي وترعرع في بيت الزعامة والرئاسة والفضيلة والمعرفة والعلم والأدب، وشبّ في أحضان أسرة عريقة بالفتوة، والحيوية، وبالمجد والعظمة والسؤدد.

■ حفظ الشريف الرضيّ قدس سره القرآن الكريم في سنّ مبكرة، وتعلّم علوم العربية واللغة على يد كبار ومشاهير العلماء مثل ابن جني والسيرافي. ودرس الفقه على يد الشيخ المفيد قدس سره.

أحمد بن محمد الطبري المقرئ الفقيه المالكيّ المتوفى سنة (٣٩٣هـ.). وتعلّم علوم العربية واللغة على يد كبار ومشاهير العلماء مثل ابن جني والسيرافي. ودرس الفقه على يد الشيخ المفيد قدس سره.

وكان الشيخ المفيد قدس سره قد رأى في ليلة أن فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت إلى مسجده الذي كان يُعلّم فيه، ومعها ولداها الحسن والحسين وقالت له: أيها الشيخ خذ وليّ هذين وعلّمهما الفقه. فلما أصبح تعجب من ذلك، فلما جاءت أم الشريفين بولديها علم تأويل رؤياه[١٢].

نشأ الشريف الرضيّ قدس سره في أسرة تحبّ العلم والعلماء، فأخذ منها هذا الحبّ وترك ما سواه من اللهو واللعب، وإن كان من في عمره يلعبون ويمرحون. فهو القائل وهو ابن عشر سنين:

المجد يعلم أن المجد من أدبي
وإن تماديت في غيّي وفي لعبي
إني لمن معشرٍ إن جمعوا لعلا
تفرقوا عن نبيٍ أو وصي نبي
إذا هممت ففتش عن ... هممي
تجده في مهجات الأنجم الشهب
وإن عزمت فعزمي يستحيل قذى
ترمي مسالكه في أعين النُّوَب[١٣]

ولما كان عمر الشريف الرضيّ قدس سره فوق الثلاث عشر سنة بقليل، بعث بأبيات من

الشعر وهو في الحبس، واستمر في نظم الشعر حتى أصبح أشعر الطالبيين ببغداد، وهو بعد لم يبلغ الحلم[١٤]. وهذا يدلّ على مقدرته وعبقريته.

واستمر الشريف الرضيّ قدس سره في تحصيل العلم والتدريس حتى أنشأ مدرسته المعروفة بـ«دار العلم»، وألف المصنّفات العديدة التي ذاع صيتها في كل مكان في أنحاء العالم الإسلامي حتى يومنا الحاضر، وستظل خالدة على طول الدهر.

وتولى الرضيّ قدس سره مناصب عديدة من الوزارة التنفيذية والتفويضية، وكانت له الإمارة على جهاد المشركين وقتال أهل الردة، وقتال أهل البغي، وقتال المحاربين، وله ولاية القضاء، وولاية المظالم، وولاية النقابة بقسميها العامة والخاصة وولاية أمور الطالبيين في جميع البلاد، فدُعي «نقيب النقباء». ويقال أن تلك المرتبة لم يبلغها أحد من أهل البيت إلّا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي كانت له ولاية العهد للمأمون. ثم أتيحت للشريف الرضي رحمه الله أيضاً الخلافة على الحرمين على عهد الخليفة العباسي القادر، وكان هو والولايات كما قيل:

لم تشيّد له الولايات مجداً
لا، ولا قليلاً رفعت مقداره
بل كساها وقد تحزمها الد
هر جلالاً وبهجةً ونضارة

وفي اليوم السادس من محرم في سنة أربعمئة وست للهجرة، فجعت الأمة الإسلامية برحيل هذا العالم والمفكر والأديب، فخسر المسلمون في جميع أنحاء البلاد علماً من أعلام الأدب والشعر والعلم، وحضر جنازته في مدينة بغداد الأشراف والأعيان والقضاة وعامة الناس، حيث صلى عليه الوزير البويهي فخر الملك، ثم دخل الناس أفواجاً عليه، ودُفن بداره الكائنة بمحلة الكرخ. ولم يشهد جنازته أخوه السيد المرتضى رحمه الله لأنه لم يستطع النظر إلى جثمانه لتأثره الشديد، وخرج من جزعه عليه إلى مشهد الإمام الكاظم عليه السلام بمقابر قريش، ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى المرتضى قدس سره فعزاه وألزمه العودة إلى داره.

ورثاه بعض الشعراء بقصائد من عيون الشعر، وبكاه شقيقه المرتضى من الأعماق، ورثاه بقصيدة من أرق الشعر وأعذبه:

قدني إليك فقد أمنت شماسي
وكيف مني اليوم صدق مراسي
يا للرجال لفجعة جذمت يدي
وودتها ذهبت عليّ براسي
ياموت كيف أخذت نفسي تاركاً
نفساً عليها جمة الأنفاس[١٥]

أخلاقه وصفاته

١ ـ اباؤه وعظمة نفسه: كان الشريف الرضيّ رحمه‌الله يرى نفسه العزيزة والكريمة أحق بالخلافة والزعامة من ملوك بني العباس الذين اشتهروا بالظلم والعدوان.

وعلى الرغم من قوة وسيطرة بني العباس وتسلطهم على أفراد الشعب كافة، كان الشريف الرضيّ رحمه‌الله لا يخاف منهم ولا يكترث بهم، فهو يقول:

صاحت بذوي بغداد فآنسني
تقلبي في ظهور الخيل والعير
أطغى على قاطنيها غير مكترث
وأفعل الفعل فيها غير مأمور[١٦]

ومن هم الذي يطغى عليهم من قاطني بغداد ولا يأتمر بأمرهم، غير الخلفاء والملوك؟ وتحكي قصة الوزير أبي محمد المهلبي عزّة نفس الشريف الرضيّ رحمه‌الله وقوة شخصيته:

فعندما ولد للشريف غلام أرسل إليه الوزير بطبق فيه ألف دينار، فردّه، وقال: قد علم الوزير إني لا أقبل من أحد شيئاً.

فرده الوزير إليه وقال: إنما أرسلته للقوابل.

فرده ثانيةً وقال: قد علم الوزير إنه لا تقبل نساؤنا غريبة.

فردّه إليه وقال: يفرقه الشريف بين ملازميه من طلاب العلم.

قال: ها هم حضور فليأخذ كل أحد مايريد.

فقام أحدهم فقرض قطعة من جانب دينار ورد الدينار إلى الطبق.

فسأله الشريف عن ذلك، فقال، إحتجتُ إلى دهن للسراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً، فاقترضت دهناً من البقال، وأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه.

وكان طلبة العلم الملازمون للرضي في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم وعيّن ما يحتاجون إليه، فلما سمع ذلك، أمر أن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة، وردّ الطبق[١٧].

٢ ـ شجاعته وثباته على المبدأ والتضحية

ولما كتب الخلفاء العباسيون محضراً بالقدح في نسب الفاطميين، وكتب فيه القضاء والعلماء من أهل بغداد، وكان الداعي إليه السياسة ـ كما هو معلوم في كل عصرٍ وزمان ـ أبى الشريف الرضيّ أن يكتب فيه مع أنه كتب فيه أخوه المرتضى وأبوهما النقيب أبو أحمد.

٣ ـ تقديره واحترامه لأساتذته

قاله له يوماً أستاذه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكيّ الذي قرأ الشريف الرضيّ القرآن وهو شاب حديث السن: أيها الشريف أين مقامك؟ قال: في دار أبي بباب محوّل (محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ).

فقال : مثلك لا يقيم بدار أبيه فقد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة.

فامتنع الرضيّ من قبولها وقال له : لم أقبل من أبي قط شيئاً.

فقال : إن حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك، لأني حفظتك كتاب الله تعالى.

فقبلها[١٨].

٤ ـ وفاؤه

ورثى الشريف الرضيّ شيخه السيرافي بقصيدة بكاه فيها وأثنى على جهوده ومساعيه، بقصيدة طويلة، منها قوله.

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه
حتى دهانا فيك خطبٌ مضلعُ
قرحٌ على قرح تقارب عهده
إن القروح على القروح لأوجع
وتلاحق الفضلاء أعدل شاهد
أنّ الحمام بكل علق مولع[١٩]

ومن أول الدلائل على وفاء الرضي أن يكون رجل من الأعراب صديقاً له، ويقال له ابن ليلى واسمه عمر وكنيته أبو العوام ـ كما ظهر ذلك كله من شعر الشريف الرضي ـ فيرثيه الرضيّ بعدة قصائد، وهو من أمراء العرب. ولم يكن عمرو هذا من المشهورين، فإن المؤرخين لم يذكروا عنه شيئاً، وغاية ما يمكننا أن نعتقده أنه كان بنيه وبين الرضيّ مودة فاستحق هذا الرثاء. وفيه يقول :

▣ لم تشيّد له الولايات مجداً
لا، ولا قليلاً رفعت مقداره
بل كساها وقد تحزمها الد
هر جلالاً وبهجةً ونضارة

▣ في اليوم السادس من محرم سنة أربعمئة وست للهجرة، فجعت الأمة الإسلامية برحيل هذا العالم الأديب، فخسر المسلمون في جميع أنحاء البلاد علماً من أعلام الأدب والشعر والعلم، وحضر جنازته في مدينة بغداد الأشراف والأعيان والقضاة وعامة الناس.

وأين كفارس الفرسان عمرو
إذا رزء من الحدثان فاجا
بحق كان أولهم ولوجا
على هولٍ وآخرهم فراجا[٢٠]

شيوخه وأساتذته

الفقه والحديث :

١ ـ أبو عبدالله محمد بن النعمان بن عبدالسلام المفيد البغدادي.

شيخ الطائفة وشيخ المشايخ، ورئيس رؤساء الملة ومحيي الشعرية وفخر الشيعة الإمامية. انتهت إليه رئاسة الكل، واجتمعت فيه قيم عالية ومُثل سامية، واتفق الجميع على علمه وفضله وفقهه وعدالته وثقته، وجلالته.

كان رضي‌الله‌عنه كثير المحاسن، جمّ المناقب، حديد الخاطر، حاضر الجواب، واسع الرواية، خبيراً بالأخبار والرجال والأشعار، وأوثق أهل زمانه بالحديث وأعرفهم بالفقه والكلام، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وكان يناظر أهل كل عقيدة، كثير الصدقات عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس. له تصانيف في مختلف العلوم الإسلامية، وأكثرها مطبوع ومترجم إلى سائر اللغات الحيّة، توفّي ببغداد سنة ٤١٣ هـ، ودفن في البقعة الكاظمية إلى جنب قبر ابن قولويه، عاش ست وسبعين سنة، وألّف أكثر من مئتي كتاب، قرأ عليه الشريف، وأخوه علم الهدى المرتضى[٢١].

٢ ـ أبو محمد هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن سعيد الشيباني التلعكبري.

فقيه ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، واسع الرواية عديم النظير، من المشايخ بل كبار الشيوخ، تتلمذ عليه كثير من الأعلام والفقهاء منهم الشريف الرضيّ، فقد روى عنه وتحدث بأحاديث أسندها إلى شيخه وأستاذه هارون بن موسى التلعكبري كما في كتابه «خصائص أمير المؤمنين عليه السلام». ص ٥٧. وله كتب ومصنفات؛ منها: كتاب الجوامع في علوم الدين. وقال النجاشي أبو العباس أحمد بن علي بن العباس: كنت أحضر في داره، مع ابنه أبي جعفر، والناس يقرأون عليه.

مات سنة ٣٨٥ هـ. وعكبرا اسم بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ[٢٢].

٣ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي.

فقيه محدث أديب عالم مؤلف، كان شيخ الشهود والمعدلين ببغداد، ومتقدمهم. سمع الحديث الكثير، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم والفضل. قرأ عليه الشريف الرضيّ القرآن وهو شاب حدث وكان يحترمه ويعظمه.

وذهب أكثر المؤرخين إلى أن أبا إسحاق المالكيّ لم يكن مالكياً في العقيدة والمذهب، وإنما كان من ناحية الأسرة والعشيرة.

له تصانيف منها كتاب المناقب. توفي سنة ٣٩٣ هـ. ودفن في داره ببغداد[٢٣].

النحو والأدب

١ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن الصالح الربعي البغدادي الشيرازي.

كان إماماً في النحو واللغة، وأديباً ممتازاً، وعالماً بالأدب، وفقيهاً في العروض والشعر. اشتغل في بغداد على السيرافي، ثم خرج إلى شيراز فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد.

له مؤلفات منها التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي، شرح الايضاح لأبي علي الفارسي؛ شرح البلغة، شرخ مختصر الجرمي.

قال عنه الشريف الرضيّ في كتابه «المجازات النبوية» ص ٢٥٠، عند تفسير قوله تعالى: ﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت﴾: قال لي شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى النحوي صاحب أبي علي الفارسي، وهذا الشيخ كنت بدأت بقراءة النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني فقرأت عليه مختصر الجرمي، وقطعة من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ومقدمة أملاها عليّ كالمدخل إلى النحو، وقرأت عليه العروض لأبي أسحاق الزجاج والقوافي لأبي الحسن الأخفش[٢٤].

٢ ـ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي البغدادي النحوي.

كان من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو. ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح الكلمات ما له، سيما في علم الأعراب، وكان أبو الطيب المتنبي الشاعر يحضر عنده ويناظر في شيء من النحو، من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفةً وإكباراً لنفسه، وكان يقول المتنبي فيه: هذا رجلٌ لا يعرف قدره كثير من الناس.

له تصانيف؛ منها: سر الصناعة وأسرار البلاغة؛ المنهج في اشتقاق شعر الحماسة في شرح كتاب القوافي للأخفش.

درس الشريف الرضيّ عليه، وأكثر النقل عنه في كتابه «المجازات النبوية».

مات في صفر سنة ٣٩٢ هـ. ودُفن بالشونيزي الذي هو من جملة مقابر بغداد عند قبر أستاذه الشيخ أبي على الفارسي[٢٥]

٣ ـ أبو سعيد السيرافي

هو الحسن بن عبدالله بن المرزبان البغدادي النحوي المعروف بالقاضي السيرافي.

■ كانت مدرسته (دار العلم) إلى جنب داره الواقعة بالكرخ في بغداد، وأصبحت معروفة يقصدها طلاب الفضيلة من كل صوب وحدب، ويؤمها رواد العلم من كل مصر وناحية، فعرفتها البلدان وطرقت ذكرها سمع كل أديب وعالم.

■ أنتجت هذه المدرسة المباركة عشرات من الخطباء والبلغاء الذين كان لهم الأثر الكبير في الحفاظ على المذهب الشيعي من الانحراف والزيغ.

من كبار أئمة النحو والأدب. قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن سراج، ثم أصبح في بغداد يدرس علوم القرآن والنحو واللغة والفرائض. وتتلمذ الشريف عليه في النحو، وهو طفل لم يبلغ عمره عشر سنين.

توفي في بغداد بين صلاتي الظهر والعصر، في شهر رجب ٣٦٨ هـ. ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد[٢٦].

٤ ـ أبو يحيى الخطيب

هو عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي الجذامي الخطيب.

وهو من كبار خطباء الشيعة، رُزق السعادة في خطبه، وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته.

كان خطيب حلب، وبها اجتمع بسيف الدولة، وكان سيف الدولة كثير الغزوات يصحبه معه، لذلك نجد أكثر خطبه في الجهاد يحضّ الناس عليه، وقد ذكر ابن أبي الحديد، في بعض خطبه في شرح نهج البلاغة عند شرحه خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الجهاد.

تتلمذ الشريف على ابن نباته وأخذ عنه وتعلم عليه وتأثر بأدبه وخطبه العالية، وأثنى عليه في تأليفه، وبقي ملازماً له إلى أن غادر ابن نباته العراق، واستوطن حلب وتوفي سنة ٣٧٤ هـ[٢٧].

آثاره العلمية والأدبية

١ ـ مدرسته العلمية (دار العلم)

كانت مدرسته إلى جنب داره الواقعة بالكرخ في مدينة بغداد وقد أسماها (دار العلم) وأصبحت معروفة ومشهورة بحيث يقصدها طلاب الفضيلة من كل صوب وحدب، ويؤمها رواد العلم من كل مصر وناحية، فعرفتها البلدان وطرقت ذكرها سمع كل أديب وعالم؛ وكانت المدرسة على قسمين.

القسم الأوّل وفيه غرف كثيرة متعددة لإقامة الطلاب، حيث يكون فيه نومهم وراحتهم عند انتهاء الدروس والمحاضرات.

والقسم الثاني وهو مخصص للتدريس وإلقاء المحاضرات، وانعقاد الجلسات للمباحثة والمناظرة والمناقشة، إلى جانب مكتبة ضخمة تضمّ أنفس المراجع وأهم المصادر العربية في كافة العلوم والبحوث الإسلامية.

وكان الشريف الرضي رحمه‌الله يتولى رئاسة وإشراف القسمين من هذه المدرسة، ويقوم بتنظيم وتوفير حاجيات ومتطلبات دار العلم بصورة عامة، وتوفير ما فيه راحة الطالب واستقلاله وعدم افتقاده في حياته الدراسية إلى صرف وقت للحصول على شيء يعوزه[٢٨].

وقد أنتجت هذه المدرسة المباركة عشرات من الخطباء والبلغاء الذين كان لهم الأثر الكبير في الحفاظ على المذهب الشيعي من الانحراف والزيغ، وردو الشبهات والأقاويل المضادة للمذهب. وهذا يرجع فضله إلى الشريف الرضي رحمه‌الله تعالى.

٢ ـ تلامذته

١ ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي البغدادي

شيخ الطائفة الإمامية، وزعيمها المقدام، هاجر إلى العراق، واستوطن مدينة بغداد سنة (٤٠٨ هـ) وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ثم انتقل إلى النجف واستوطنها عام (٤٨٨ هـ)، واستقل بالزعامة الدينية، وتقلد شؤون الطائفة الإمامية والمجلس الأعلى للتقليد والفتوى.

له كتب ومصنفات عديدة في الفقه والعقائد، توفي سنة ٤٨٠ هـ[٢٩].

٢ ـ أبو بكر النيسابوري

هو أبو بكر المحدث أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي.

الحافظ الفقيه الثقة، المحدث، من كبار مشايخ الإمامية، وهو والد العلمين المحدثين الحافظ المفيد عبد الرحمن بن أحمد، والمفيد أبي سعيد محمد بن أحمد، وجد أبي الفتوح الرازي صاحب التفسير بالفارسية.

كانت له حوزة درس وتدريس، وتخرج عليه جمع كبير من العلماء الأعلام، كما أخذ عن لفيف من شيوخ المشايخ في العراق، وروى عنهم، وله تصانيف منها الأمالي في الأخبار أربع مجلدات؛ عيون الأحاديث؛ الروضة في الفقه والسنن؛ المفتاح في الأصول؛ المناسك؛ وغيرها.

توفي سنة ٤٨٠ هـ.[٣٠].

٣ ـ الشيخ الدوريستي

هو أبو عبد الله الشيخ جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس بن محمد بن العباس بن الفاخر الدوريستي العبسي.

قرأ على السيد الرضي رحمه‌الله‌تعالى وكان مشهوراً في جميع الفنون والعلوم الإسلامية، مصنفاً كثير الرواية والتصانيف، من كبار هذه الطائفة وعلمائها، معظماً في الغاية عند نظام الملك الوزير، وكان يذهب في كل أسبوعين مرة من الري إلى قرية دوريست، وهي على فرسخين من الري لسماع ما كان يريده من بركات أنفاسه، ويرجع إلى دار خلافته ووزارته.

كانت له في قريته بعد أن عاد إليها من بغداد، حوزة درس يحضر فيها جمع كثير من الأعلام والأدباء، وله تآليف؛ منها: كتاب الكفاية في العبادات، وكتاب الاعتقادات، كتاب الردّ على الزيدية، كتاب يوم وليلة، كتاب الحسنى الذي أكثر النقل عنه ابن طاووس الحلي في مؤلفاته.

توفي رحمه‌الله‌عليه سنة ٤٧٣ هـ.[٣١]

٤ ـ الشيخ الحلواني

أبو عبد الله الشيخ محمد بن علي الحلواني.

عالم زاهد فاضل جليل أديب متتبع شاعر مجيد، من تلامذة السيد المرتضى والشريف الرضي، وهو من أعلام الأدب في القرن الخامس الهجري، ثم استقل بالتدريس والدراسة، وأصبحت له حوزة درس وبحث، تخرج عليه لفيف من الفقهاء والعلماء، منهم أبو الصمصام ذو الفقارين[٣٢].

٥ ـ السيد عبد الله الجرجاني

أبو زيد السيد عبد الله بن عليم الكبايكي بن عبد الله بن عيسى بن زيد بن علي الكهي الحسيني الجرجاني.

الفقيه الجليل، والمجتهد المتتبع، والعالم الفاضل، تتلمذ على الشريفين المرتضى والرضي، وأخذ يروي عنهما. وبعد وفاة شيخه وأستاذه، تصدى للدراسة والتدريس، وكانت له حوزة درس يجتمع فيها لفيف من أعلام الأدب، وتخرج منها جمع من العلماء والفضلاء، له تعليقات ورسائل في الفقه وبعض أبوابه المتفرقه، ويعتبر من أعلام الفقه والدين في القرن الخامس الهجري ومن المقيمين في بغداد وتوفي بها[٣٣].

٣ ـ مؤلفاته

أ ـ نهج البلاغة

وهو ما جمعه الشريف الرضي رحمه‌الله من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه‌السلام واشتغل في جمعه ست عشرة سنة، ومن الواضح والمعلوم أن من يريد اختيار أنفس الجواهر من بين الجواهر الكثيرة لابد أن يكون جوهرياً حاذقاً، فكان الرضي في اختياره أبلغ عنه في كتاباته كما قيل عن أبي تمام لما جمع ديوان الحماسة من منتخبات الشعر العربي أنه في انتخابه أشعر منه في شعره، وقد لاقى ديوان الحماسة من القبول عند الناس إقبالاً كثيراً وشرحه أعاظم العلماء، وكذلك نهج البلاغة لاقى من الشهرة والقبول ما هو أهله، وشُرح بشروح كثيرة تنبو عن الإحصاء، وكان مفخرة من أعظم مفاخر العرب والإسلام[٣٤].

وقال في مقدمته أنه ألّفه بعد «خصائص الأئمة» وعلى أثره حيث يقول: «وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه‌السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه‌السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظٍ بليغ، ومن ذلك فقد سبقه وقصروا، وتقدم وتأخروا، لأن كلامه عليه‌السلام عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك[٣٥].

ويعتبر نهج البلاغة مصدراً أدبياً وفكرياً ودينياً واجتماعياً لجميع العلماء والمفكرين والأدباء، ويعتبره الكثيرون من حيث الأهمية بعد القرآن الكريم والسنة النبوية، ترجم إلى لغات أجنبية متعددة، ودارت حوله دراسات ولا تزال[٣٦].

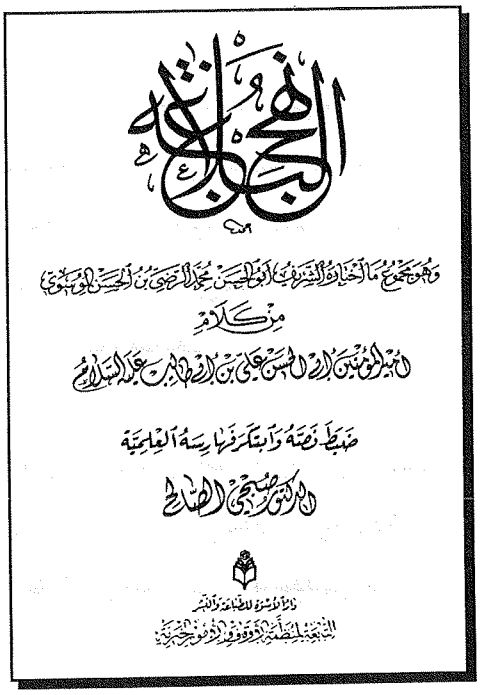

ب ـ خصائص الأئمة

وفيه يذكر خصائص الأئمة عليهم السلام وقد ألفه وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وقال في مقدمة نهج البلاغة: إني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الأئمة.

ج ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن

ظل هذا الكتاب مفقوداً مدة ألف سنة حتى وجده محمد المشكاة، وهو مدرس في جامعة طهران مخطوطة قديمة بالية، وذلك في سنة ١٩٤٩ م، وأدرك أن هذه النسخة هي للشريف الرضيّ لما فيها من دلائل تثبت ذلك.

▣ إن الشريف الرضيّ خطا أول خطوة في مجازات القرآن واستعاراته، تأليفاً مستقلاً بذاته، ولم يأت عرضاً في خلال كتاب أو باباً من أبواب مصنف.

▣ قال ابن جني: ألف الرضيّ كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله. والكتاب يجمع بين فضيلتي العلم والأدب.

وعجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن محاكاة هذا الكتاب، إذ لم يأت المجاز فيه عرضاً وإنما تتبع الشريف المجازات والاستعارات في القرآن سورة سورة وآية آية، فقدم بذلك جهداً رائعاً في إدراك كنه الأسرار البلاغية[٣٧].

وقال في آخره: «وكان الابتداء بتصنيف هذا الكتاب في يوم الخميس لعشر ليال بقين من شعبان سنة إحدى وأربعمئة، والفراغ منه يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة على ما تخلل هذه المدة من اعتراضات العوائق، واقتطاعات الشواغل، واختلاط الداعي بالصوارف، والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين».

فلم يستغرق أكثر من ٥٣ يوماً.

ويقول محقق هذا الكتاب إنه «يقوم في التراث العربي الإسلامي وحده شاهداً على أن الشريف الرضي خطا أول خطوة في مجازات القرآن واستعاراته، تأليفاً مستقلاً بذاته، ولم يأت عرضاً في خلال كتاب أو باباً من أبواب مصنف».

د ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل

ويتحدث الشريف في هذا الكتاب عن حقائق القرآن وتأويله وغرائبه وإعجازه، وأظهر غوامضه وأسراره واستنبط آراء لم

يسبق إليها، وقد علق ابن جني أستاذ الشريف على هذا الكتاب بقوله: ألف الرضيّ كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله والكتاب يجمع بين فضيلتي العلم والأدب، وهو خاص بمتشابه التنزيل، وهي الآيات التي يقع اختلاف وإشكال بين العلماء في تفسيرها وتأويلها، ويعقد الشريف لكل آية من المتشابة مسألة قائمة بذاتها، حتى أضحى الكتاب مجموعة مسائل متنوعة، ولكل مسألة استقلالها العلمي وفائدتها الخاصة، وقد ضاع الكتاب ولم يبق منه إلّا الجزء الخامس الواقع بين الآية السابعة لسورة آل عمران، والآية الثامنة والأربعين من سورة النساء[٣٨].

هـ ـ مجازات الآثار النبوية

تناول الرضيّ في كتابه هذا (٣٦١) حديثاً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله اشتملت على مجاز طريف أو كناية دقيقة، ولم يكتف بسرد هذه الأحاديث بل شرحها وأبان عن بلاغتها وتتبعها متنقلاً من تحقيق لغوي إلى تطبيق على علم البلاغة، إلى سياق الشاهد من كلام العرب.

والمجازات من كتب الرضيّ القيمة، ألفه سنة ٤٠١ هـ. بعد كتاب تلخيص البيان الذي استحسنه الناس فطلبوا من الرضيّ أن يؤلف لهم كتاباً على غراره يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله إذ كان فيها كثير من الاستعارات وأسرار البلاغة[٣٩].

أما باقي المؤلفات والمصنفات فمنها أخبار قضاة بغداد، وانشراح الصدر، وتعليق خلاف الفقهاء وتعليقة على الإيضاح، وغيرها.

٤ ـ شعره

نظم الشريف الرضيّ قدس سره الشعر في عهد الطفولة، ولما يزد عمره على عشر سنوات فأجاد، ونظم في جميع فنون الشعر فأكثر، وجاء محلقاً محرزاً قصب السبق بغير منازع، ولم يكن في ناحية من نواحي الشعر أشعر منه في غيرها مما دلّ على غزارة مادته العلمية، وأنه كان ينظم قصائده بمنحة نفسانية قلما تؤثر بها العوامل الخارجية. وامتاز الرضيّ بأن شعره على كثرته لابس ثوب الجودة والملاحة، وهذا قلما يتفق لشاعرٍ مكثر، بل لم يتفق لغيره، فإننا نرى تلميذه وخريجه مهيار الديلمي قد أكثر من نظم الشعر ولكن قصائده لم تكن متناسقة متناسبة في الجودة بخلاف قصائد الرضيّ قدس سره.

وإذا نظرنا إلى شعر المتنبي المتقدم عليه في العصر نجده مع ما للمتنبي من المكانة السامية يشتمل على سقطات لا تقع مع أداني الشعراء؛ فلا غرو إذا فضل شعر الرضي على شعر المتنبي[٤٠].

ومما امتاز به شعر الشريف الرضيّ قدس سره أنه نقي من كل ما يتعاطاه الشعراء من الغزل المشين والهجاء المقذع والتلون بالمدح تارةً وبالذم تارةً أخرى.

▣ نظم في جميع فنون الشعر فأكثر، وجاء محلقاً محرزاً قصب السبق بغير منازع، ولم يكن في ناحية من نواحي الشعر أشعر منه في غيرها مما دلّ على غزارة مادته العلمية.

وامتاز شعره أيضاً بانطباعه بطابع العروبة والبداوة ولاسيما حجازياته التي كان ينظمها في نجد والحجاز، فتساعده رقة الهواء، واتساع الفضاء، ومشاهدة العرب الصميمين من أهل تلك الديار، على طبع قصائده بطابع الرقة والبداوة، مضافاً إلى ما طبعه من ذلك، وهذا ظاهر في شعره في الفنون المختلفة.

ومن مميزاته إيراده الكثير من الألفاظ العربية الرقيقة العذبة المصقولة المتون والتي هي أشهى إلى السماع من الماء البارد على الظمأ.

▣ امتاز الرضيّ بأن شعره على كثرته لابس ثوب الجودة والملاحة، وهذا قلما يتفق لشاعرٍ مكثر، بل لم يتفق لغيره.

وقد جاء ذكره وذكر شعره في فهرست النديم ـ في ترجمة أستاذه ابن جني المتوفى سنة (٣٩٢ هـ.) حيث ذكر فيه ـ في مؤلفات ابن جني ص ٩٥ ـ تفسير المراثي الثلاث والقصيدة الرائية للشريف الرضيّ قدس سره مما يدلّ على أنه اشتهر بالشعر الجيد حيث تعاطى القريض منذ صباه، ونظم الشعر وهو ابن عشر، وانتشرت له القصائد الجياد وهو في سن المراهقة.

وكان للرضيّ مكانة مرموقة في الشعر

والأدب حتى أن أستاذه أبا الفتح ابن جني شرح أربعاً من قصائده في أربعة مجلات تكلم عن كل قصيدة منها في مجلد، وهذه القصائد في قمة الجودة إلى درجة يشرحها أستاذه ابن جني، وهي مما نظمه وهو دون الثامنة عشر من عمره.

وكان شعره كثيراً وجيداً، وهذا نادراً ما يحصل لشاعر، وكان يقال عنه أنه أشعر قريش.

فالخطيب البغدادي ينقل عنه يقول: سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ، وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضيّ أشعر قريش، فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش.

▣ امتاز شعر الشريف الرضيّ قدس سره أنه نقي من كل ما يتعاطاه الشعراء من الغزل المشين والهجاء المقذع والتلون بالمدح تارةً وبالذم تارةً أخرى.

شعره في الغزل

تعاطى الشريف الرضيّ في غزله ما تعطاه الشعراء من وصف حالات الوصال وما يجري مجراها مما أكثره داخل تحت (وإنهم يقولون ما لا يفعلون) ولكن الشريف الرضيّ قدس سره في أكثر غزلياته أقرب إلى الآداب وأبعد عن كثير مما يتعاطاه الشعراء من الألفاظ الغرامية، فمن غزلياته التي اندمجت فيها الحماسة مع الغزل:

▣ ومن مميزاته إيراده الكثير من الألفاظ العربية الرقيقة العذبة المصقولة المتون والتي هي أشهى إلى السماع من الماء البارد على الظمأ.

تضاجعني الحسناء والسيف دونها
ضجيعان لي والسيف أدناهما مني
إذا دنت البيضاء مني لحاجةٍ
أبى الأبيض الماضي فأبعدها عني
وإن نام لي في الجفن إنسان ناظر
تيقظ عني ناظرٌ لي في الجفن
وقالت هبوه ليلة الخوف ضمه
فما عذره في ضمه ليلة الأمن

▣ أما شعره في الفخر والحماسة فهو على كثرته وسمو مكانته يصعب الأختيار والانتقاء منه لأنك كلما نظرت إلى قطعة فيها شيء من ذلك، وراقك حسنها وظننت أنها أحسن ما تختاره تنظر إلى غيرها فتظنها مثلها أو أحسن منها وهكذا تقع في الحيرة.

شعره في الفخر والحماسة

وأما شعره في الفخر والحماسة فهو على كثرته وسمو مكانته يصعب الاختيار والانتقاء منه؛ لأنك كلما نظرت إلى قطعة فيها شيء من ذلك، وراقك حسنها وظننت أنها أحسن ما تختاره تنظر إلى غيرها فتظنها مثلها أو أحسن منها، وهكذا تقع في الحيرة، بل هذا حاصل في كثير من فنون شعره غير الفخر والحماسة كالغزل والنسيب وغيرهما.

وإذا كان لابد من الاختيار فليكن الحال في ذلك كقدحي العطشان ورغيفي الجائع، ولكن حماسته مع ذلك كثيراً ما تشتمل على المبالغة المفرطة وهذا الأمر لمن تجيش نفسه بأمور لا يوصله إليها الزمان. فمن قطعاته الحماسية قوله:

أنا ابن الألى إما دعوا يوم معركٍ
أحدوا أنابيب القنا بالمعاصمِ
وإذا نزلوا بالماحل استنبو الربى
وكانوا نتاجاً للبطون العقائمِ

يسيرون بالمسعاة لا السعي بالخطى
ويـــرقون بـــالعلياء لا بـــالسلالمِ

ويقول في قصيدة حماسية رائعة أخرى:

نـــبهتهم مـــثل عـــوالي الرّمـــاح
إلى الوغـــى قـــبل نـــموم الصـــباح
فـــوارسٌ نـــالوا المـــنى بـــالقنا
وصـــافحوا أعـــراضـــهم بـــالصفاح
لغـــــارةٍ ســـــامع أنـــبائها
يـــغصّ مـــنها بـــالزلال القـــراح
ليس عـــلى مـــفرقها ســـبةٌ
ولا عـــلى المـــجلب منها جُـناح
دُونكُـــمُ، فـــابتدرُوا غُـــنمها
دُمـــىً مُـــباحاتٍ، وقـــالٌ مُـــباح
فـــإننا فـــي أرض أعـــدائـــنا
لا نـــطأ العَـــذْرَاء إلا ســـفاح
يـــا نـــفسُ مِـــنْ هـــمّ إلى هـــمّةٍ،
فليس من عِبء الأذى مُستراح[٤١]

شعره في الهجاء

ومن مميزات الرضيّ أنه ليس له شعر في الهجاء يشبه هجاء الشعراء الذين كانوا يهجون بقبيح القول والألفاظ الفاحشة ويصرحون بمن يهجونه ويكون هجاؤهم وتركهم له تابعاً للإعطاء والمنع، فالشريف إن وجد في شعره، مايشبه الهجاء فهو بألفاظ نقية وأدب وتورع عن التصريح باسم المهجو. فهو كان يرى شعره أشرف مما يصدر منه في

▣ ومن مميزات الرضيّ أنه ليس له شعر في الهجاء يشبه هجاء الشعراء الذين كانوا يهجون بقبيح القول والألفاظ الفاحشة ويصرحون بمن يهجونه ويكون هجاؤهم وتركهم له تابعاً للإعطاء والمنع.

▣ أما رثاؤه للإمام الحسين عليه السلام فقد كان رثاءً خاصاً اتصف بالحزن الشديد والبكاء الحاد الغزير والتوجع والتفجع على مصيبته.

الهجاء شيء مما يتعاطاه الشعراء كما أشار إلى ذلك بقوله:

وإني إذا أبدى العدو سفاهةً
حبست عن العوراء فضل لسانيا
وكنت إذا التاث الصديق قطعته
وإن كان يوماً رائحاً كنت غاديا[٤٢]

شعره في الرثاء

رثى الشريف الرضيّ قدس سره أهله الماضين من السادة الأطهار والأئمة الأطياب الذين استشهدوا ظلماً وعدواناً على يد الظالمين. وكان رحمه الله يكتب القصائد المشجية في حقهم.

وأما رثاؤه للإمام الحسين عليه السلام فقد كان رثاءً خاصاً اتصف بالحزن الشديد والبكاء الحاد الغزير والتوجع والتفجع على مصيبة جده الحسين عليه السلام.

فكانت قصائده تهز المشاعر الإسلامية وتحيي الذكرى الخالدة لهذه الواقعة التي غيّرت مجرى التاريخ.

ففي قصيدة يصف كربلاء وما جرى فيها على الحسين وأهل بيته عليهم السلام فيقول:

كربلاء لازلت كرباً وبلا
ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا
من دمٍ سال ومن دمعٍ جرى
كَمْ حصانِ الذيل يَروي دَمعها
خَدَّها عِندَ قتيل بالضما
تمسح الترب على إعجالها
عَنْ طُلى نحرٍ رميلٍ بالدما
وضيُوفٍ لفلاةٍ قفرةٍ
نَزَلُوا فيها على غير قرى
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا
بحدى السيف على ورد الردى
تكسف الشمس شموساً منهم
لا تُدانيها ضياءً وعُلا
وتنوش الوحش من أجسادهم
أرجل السبق وإيمان الندى
ووجوهاً كالمصابيح، فمِن
قمرٍ غابَ، ونجمٍ قد هوى
غيرتهن الليالي، وغداً
جاير الحكم عليهن البلى
يا رسول الله لو عاينتهم
وهمُ ما بين قتلى وسبا
من رميضٍ يمنع الظلّ، ومن
عاطشٍ يسقي أنابيب القنا
ومسوقٍ عاثرٍ يسعى به
خلف محمولٍ على غير وطا
متعبٍ يشكو أذى السير على
نقب المنسم، مجزول المطا
لرأت عيناك منهم منظراً
للحشى شجواً، وللعين قذى

ليس هـذا لرسـول الله، يـا
أمّـة الطـغيان والبـغي، جـزا
غارس لم يأل في الغرس لهم
فـأذاقـوا أهـله مـرّ الجـنى
جزروا جزر الأضاحي نسله
ثم ساقوا أهله سوق الإما
معجلات لا يـوارين ضحى
سُنن الأوجه أو بيض الطلى
هـاتفات بـرسول الله فـي
بهر السعي وعثرت الخطى
يـوم لا كسر حجابٍ مانعٌ
بـذلة العـين ولا ظلّ خبا
أدرك الكـفر بـهم ثـاراتـه
وأزيـل الغي منهم فاشتفى
يـا قـتيلاً قـوض الدهـر بـه
عـمد الديـن وأعـلام الهـدى
قـتلوه بـعد عـلم مـنهم
أنه خـامس أصحاب الكسا
وصـريعاً عـالج المـوت بـلا
شـد لحـبين ولا قـدّ ردا[٤٣]

الهوامش

(١) أعيان الشيعة، السيد حسن الأمين، ٩: ٢٢١.
(٢) المصدر نفسه، ٩: ٢١٦.
(٣) المصدر نفسه، ٩: ٢١٦.
(٤) المصدر نفسه، ٢١٦.
(٥) عمدة الطالب، ابن عنبة: ٢٣٣.
(٦) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٠.
(٧) أعيان الشيعة: ٢١٦.
(٨) المصدر نفسه، ٩: ٢١٧.
(٩) الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ١٩.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٤.
(١١) أعيان الشيعة: ٢١٦.
(١٢) المصدر نفسه.
(١٣) الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ٣٣.
(١٤) المصدر نفسه: ٣٣.
(١٥) الشريف الرضيّ، إعداد حسن جعفر نور الدين: ١٨.
(١٦) أعيان الشيعة، ٩: ٢١٧.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) شرح ابن أبي الخديد ١: ٣٤، المنتظم لأبي الفرج الجوزي، حوادث ٣٩٣.
(١٩) الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ٦٤.
(٢٠) أعيان الشيعة ٩: ٢٢٠.
(٢١) الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ٧٤.
(٢٢) انظر: الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ٥٧، الأعلام ٩: ٤٦، أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٦ تنقيح المقال ٣: ٢٨٦، جامع الرواة ٢: ٣٠٨، رجال ابن دواد الحلي: ١٩٩.
(٢٣) انظر: الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين، أعيان الشيعة ٥: ١٠٢، تاريخ بغداد ٦: ١٩،

بغية الوعاة ٢ : ١٨١، تاريخ بغداد ١٢ : ١٧، روضات الجنان ٥ : ٢٤١، ريحانة الأدب ٢ : ٣٠١، الغدير ٤ : ١٨٤، كشف الظنون : ٢١٢ و ٢١٦ ، الكنى والألقاب ٢ : ٢٧١، معجم الأدبا، ١٤ : ٧٨، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٧١، هدية العارفين ١ : ٦٨٦.

(٢٥) انظر : الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين : ٦٩، أعيان الشيعة ٣٩ : ٢٠٩، البداية والنهاية ١١ : ٢٢٧ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣١١، الغدير ٤ : ١٨٤، مرآة الجنان ٢ : ٤٤٥، معجم الأدباء، ١٢ : ٨١، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٥، وفيات الأعيان ٢ : ٤١٠، هدية العارفين ١ : ٦٥١، المنتظم ٧ : ٢٢٠.

(٢٦) انظر الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين: ٦٤، بغية الوعاة : ٢٢١، تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ الجواهر المضيئة ١ : ١٩٦، روضات الجنان ٣ : ٧٠، شذرات الذهب ٣ : ٦٥، لسان الميزان ٢ : ٢١٨، مرأة الجنان ٢ : ٣٩٠، معجم الأدباء، ٣ : ٨٤، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٣.

(٢٧) انظر : الشريف الرضيّ، محمد هادي الأمين : ٦٦، الأعلام ٤ : ١٢٢، الذريعة ٧ : ٢٤، شذرات الذهب ٣ : ٨٣، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤، الغدير ٤ : ١٨٤، الكنى والألقاب ١ : ٤٣٦، مجالس المؤمنين ١ : ٥٤٥، معجم المؤلفين ٥ : ٢١١ .

(٢٨) الشريف الرضي، محمد هادي الأمين : ١١٢ .

(٢٩) المصدر نفسه : ١١٥ .

(٣٠) أنظر : أعيان الشيعة ٨ : ٣٩ ، وأمل الآمل ٢ : ١١، جامع الرواة ١ : ٤٦ ، ريحانة الأدب ٢ : ١٢٧، الغدير ٤ : ١٨٥ ، الشريف الرضي، محمد هادي الأمين : ١٢٠ .

(٣١) انظر : الشريف الرضي، محمد هادي الأمين : ١١٤ ، أعيان الشيعة ١٦ : ٧٠ ، تنقيح المقال ١: ٢٢٤ ، جامع الرواية ١ : ١٨٥ ، رجال ابن دواد الحلي : ٦٥ ، ريحانة الأدب ٢ : ٢٧٣ ، الغدير ٤ : ١٨٥ ، الكنى والألقاب ٢ : ٢٣٢ ، معجم البلدان ٢ : ٤٨٤ ، وغيرها.

(٣٢) انظر: الشريف الرضي، محمد هادي الأمين : ١١٣ ، أمل الآمل ٢ : ٢٨٤ ، رياض العلماء ٥: ١٢٢ ، الغدير ٤ : ١٨٥ ، مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٢١ ، مستدرك الوسائل ٣ : ٤٩٦ .

(٣٣) الشريف الرضي، محمد هادي الأمين : ١١٢ ، وأعيان الشيعة ٤٨ : ٩٧ ، والثقات العيون : ٣٠٩، ورياض العلماء ٣ : ٢٢٩ ، والغدير ٤ : ١٨٥ ، وفوائد الرضوية : ٦٦٧ ، ومستدرك الوسائل ٣: ٤٩١ .

(٣٤) أعيان الشيعة ، محسن الأمين ٩ : ٢١٨ .

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) الشريف الرضي، حسن جعفر نور الدين، ٢٤

(٣٧) المصدر نفسه : ٢٦ .

(٣٨) الشريف الرضيّ ـ حسن جعفر نور الدين : ٣٠

(٣٩) المصدر نفسه .

(٤٠) أعيان الشيعة ، محسن الأمين ٩ : ٢١٩ .

(٤١) ديوان الشريف الرضي ١ : ٢٥٤ .

(٤٢) أعيان الشيعة ، محسن الأمين ٩ : ٢٢٠ .

(٤٣) ديوان الشريف الرضي ١ : ٤٥.